@Tafsircenter

آدم سيلفرستاين
Adam J. Silverstein

حول المعنى الأصلي للمصطلح القرآني «الرَّجِيم»

ترجمة: طارق عثمان

www.tafsir.net
مركز تفسير للدراسات القرآنية
Tafsir Center For Qur'anic Studies

المعلومات والآراء المقدَّمة هي للكتّاب، ولا تعبّر
بالضرورة عن رأي الموقع أو أسرة مركز تفسير

نبذة تعريفية بآدم سيلفرستاين:

حاصل على الدكتوراه في الدراسات الإسلامية في العصور الوسطى من جامعة كامبريدج، عمل كأستاذ للتاريخ الإسلامي في عدد من الجامعات، في الكلية الملكية بلندن، وفي جامعة بار إيلان، وكأستاذ دراسات الشرق الأدنى بجامعة أكسفورد.

مهتمٌّ بالتاريخ الإسلامي في العصر الوسيط، له عددٌ من الكتب في هذا السياق؛ منها:

Islamic History: A Very Short Introduction (Oxford: Oxford University Press, 2010).

التاريخ الإسلامي، مقدّمة قصيرة جدًّا.

مقدمة[1]:

يَنْصَبُّ اهتمام آدم سيلفرستاين على دراسة المعجم والقصص القرآني في ضوء شبكة واسعة من نصوص الشّرق الأَدْنى القديم، حيث يعتبر أنّ لهذا التسييق للقرآن في سياق هذه النصوص قدرةً على كشفِ كثيرٍ من دلالات النصّ، وتأتي هذه المقالة ضمن هذا الاهتمام الأوسع لسيلفرستاين، حيث يدرس فيها المصطلح القرآني «الرَّجيم»، باحثًا عن دلالته الأصلية.

ينطلق سيلفرستاين من كون دلالة المصطلح «الرَّجيم»، يصعب إرجاعها -كما يفعل كثيرٌ من الباحثين الغربيين الكبار مثل نولدكه وروزينتال وجيفري- إلى المسيحية الإثيوبية، والتي تحيل إلى دلالة «اللّعن» المجازية، حيث إنّ ثمة دلالة أخرى مادية، تعني الرّجْم بالشُّهب، تظهر في النصوص والشعائر الإسلامية، كما تظهر في بعض نصوص الشرق الأدنى القديم خصوصًا النصوص اليهودية.

أمام هذا الازدواج في الدلالة يقترح سيلفرستاين وجود معنى أصلي لمصطلح «الرَّجِيم»، إلا أنّه عَشِيّة ظهور الإسلام تحوّل «الرَّجِيم» إلى ما يُشبه اللقب الثابت للشيطان، والذي لا يحيل إلى المعنى الأصلي، بل إلى معانٍ أخرى أَضْفَتْهَا عليه شعوب الشرق الأدنى، حيث استعملتْ شعوب الشرق

(١) قام بكتابة المقدّمة مسؤولو قسم الترجمات بمركز تفسير.

الأدنى هذا المصطلح في عدد من الدلالات المختلفة مثل «المنبوذ» و«الصاغر» و«الملعون»، متناسية بشكلٍ كبيرٍ الدلالة الأصلية له كـ«متّهِم سماوي»، ووفقًا لسيلفرستاين فهذه الدلالة هي الدلالة الأصلية لمصطلح «الرَّجِيم»، والتي تحيل إلى الدور الأصلي للشيطان في المدونات الكتابية قبل تحوّله لتجسيد للشَّرِّ في النصوص اليهودية بعد السبي.

ويرى سيلفرستاين أنّ القرآن في استخدامه مصطلح «الرَّجِيم» قد استعاد كثيرًا من الدلالات المتداولة في سياق نصوص الشرق الأدنى القديم لهذا اللقب وقرن بينها، وأنّ دراسة واسعة لهذه النصوص تُطْلِعنا على هذه الدلالات المتنوّعة، مما يبرز الصنيع القرآني الخاصّ في استخدامها.

إنّ هذا المقالة تمثّل تطبيقًا لعملية تسييق القرآن في سياق نصوص الشرق الأدنى في العصور القديمة المتأخّرة -كمفهوم معرفي يحيل لعملية استعادة وتأويل النصوص الدينية كما ترى نويفرت- وهو اتجاه مُتَنامٍ بين الباحثِين، يحتاج لتسليط الضوء عليه، بعيدًا عن مدى الاتفاق أو الاختلاف مع نتائجه التفصيلية.

المقالة(١)(٢)

الشيطانُ مذكورٌ في القرآن في أكثر من سبعين موضعًا؛ إمّا باسْم إبليس أو باسْم الشيطان(٣)، وفي بعض المواضع يُنْعَتُ الاسم الأخير بالرَّجِيم(٤). فيما يأتي

---

(١) هذه الترجمة هي لمقالة:

Silverstein, Adam (2013). "On the Original Meaning of the Qurʾanic Term al-shayṭān al-rajīm", *Journal of the American Oriental Society* , Vol. 133, No. 1. pp. 21-33

(٢) تَرْجَم هذه المادة: طارق عثمان، باحث ومترجِم، له عدد من الأعمال المطبوعة.

(٣) محاولات التمييز بين الشيطان وإبليس عن طريق القول بأنّ كلًّا منهما يلعب دورًا مختلفًا عن الآخر أو أنهما يحيلان على مَناحٍ مختلفة من الضّلال، هي محاولات غير مُقنعة إلى حَدّ كبير. فمصطلَحَا "Satan"/ الشيطان، و"devil"/ إبليس (المشتقّان من نفس الجذر اليوناني diabolos، ومنه اشتُقّت أيضًا كلمة إبليس العربية) مستعملان جنبًا إلى جنب في العهد الجديد. ففي سفر الرؤيا الإصحاح ١٢ آية ٩ نسمع عن: «الحيّة القديمة، التي هي إبليس والشيطان»، وفي الإصحاح ٢٠ آية ٢ من السّفر نفسِه نجد: «التنين، الحيّة القديمة، الذي يُسَمّى إبليس والشيطان». وعن هذه المسألة انظر كتاب ويليام بكسلر: Job's spiritual journey: the believer and rationalist with questions of God and Man (Bloomington, 2009)، ص٤٨٥، حيث يقول: «في العهد الجديد إبليس والشيطان يُشِيرَان إلى نفس الكائن فوق الطبيعي (كما في سفر الرؤيا ٢٠: ٢)، وبالتالي يمكن استعمال أيٍّ منهما في محلّ الآخر (كما في مرقص ١: ١٣ ولوقا ٤: ٢)». أمّا الذين يُحَاجِجُون عن وجود تمييز بين الشخصيّتين في القرآن فيركّزون على استخدام القرآن للمصطلحَيْن: تسعة مواضع من المواضع الأحد عشر التي ذُكر فيها اسم إبليس متعلّقة برفضه للسجود لآدم [وعليه يكون إبليس هو اسمه قبل رفضه السجود لآدم، أي: قبل سقوطه، والشيطان هو اسمه بعد رفضه السجود، أي: بعد سقوطه. وللمزيد انظر كتاب ويتني بودمان، شعرية إبليس: اللاهوت السردي في القرآن، دار الجمل، ٢٠١٧]. وللمزيد عن هذا النقاش انظر كتاب جبريل سعيد رينولدز: The Qur'an and its Biblical Subtext (London, 2010)، ص٤٠ و٥٤.

(٤) في اثنين من هذه المواضع، استُعْمِلَت العبارة بصيغة النكرة: ﴿شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾[الحجر: ١٧، والتكوير: ٢٥].

سأُحَاجِج عن أنّ لعبارة «الشيطان الرَّجِيم» معنًى أصليًّا، وأنّ هذا المعنى قد نُسِي مع مرور الزّمن، وعوضًا عنه أعاد أهل التوحيد في الشرق الأدنى تأويل مصطلح «الرَّجِيم» بحيث صار يعني إمّا: «المرجوم بالحجارة» أو «الملعون».

معنى الرجيم: «المرجوم بالحجارة»:

الرأي الشائع بين المفسّرين والمعجميّين والفقهاء وغيرهم من المسلمين المتقدّمين هو أن مصطلح «الشيطان الرَّجِيم» يعني: «الشيطان المرجوم»، أي أنه يشير إلى أنّ الشيطانَ مرجومٌ، على نحوٍ مادِّيٍّ بالحجارة، في كلّ من الأرض والسماء[١]. أمّا الرجم الأرضي للشيطان فيحدُث أثناء تأدية مناسك الحج، من اليوم العاشر إلى اليوم الثاني عشر من شهر ذي الحجة، عندما يقوم الحُجّاج برمي الجمرات على ثلاثة أعمدة في (مِنَى). وهي الممارسة التي يُعتقد أنها تكرار لرمي إبراهيم لإبليس بالحجارةِ أثناء حَجِّهِ إلى مكة في الماضي البعيد[٢].

(١) «رَجْم تعني: رَمْي أو إلقاء الحجارة: هذا هو معناها الأساسي» E. Lane, An Arabic-English Lexicon، (London, 1863)، مادة: رَجَمَ. لكن لا يوجد إجماع على ذلك، فالمفسّرون المتقدِّمون قد قالوا بأنّ المرجوم تعني الملعون، وهو تأويل قد حظي -كما سنرى لاحقًا- برضا بعضٍ مِنْ أبرز المتخصّصين المتأخّرين. وللمزيد عن معنى الشيطان الرجيم في كتب التفسير، انظر: رينولدز، Qur'an and its biblical subtext، ص٥٤ وما يليها.

(٢) هذا هو -على الأقلّ- التفسير الأكثر شيوعًا لهذا الْمَنْسَك في المصادر التقليدية. وعن هذا التفسير وبعض التفسيرات البديلة التي طرحها المفسّرون المسلمون، انظر: Encyclopaedia of Islam، الطبعة الجديدة (Leiden, 1690- 2004)، مادة: رجم. (تأليف: توفيق فهد)، خاصّة: 8: 380b.

أمّا علماء أنثروبولوجيا الدِّين فقد طرحوا تأويلًا مغايرًا لهذه الشَّعِيرة؛ إِذْ أشاروا إلى أنها كانت تدلّ في الأصل على تكفير الخطايا عن طريق رَمْيها في الهاوية[١]. وعلى أيّة حال، يتّضح من سياقات أخرى سوى الحَجّ، أنّ رمي موضعٍ ما، مربوطٍ بالشرِّ، بالحجارة؛ كان ممارسة شائعة قبل الإسلام أو في صدر الإسلام على أقلّ تقدير. ولعلّ المثال الأشهر على ذلك هو رَجْم قَبْر أبي رِغال (لأنه عَمِل دليلًا ومترجِمًا لأبرهة أثناء حَمْلَة الأخير على مكة)[٢]، الموثّق جيدًا في الشِّعْر الأُموي[٣]. وإلى جانب هذا الشاهد العربي الشهير، ينبغي أن نضيف

(١) J. Stetkevych, Muhammad and the Golden Bough: Reconstructing Arabian Myth (Bloomington, 2000), 41–49; G. Frazer, The Golden Bough: A Study in Magic and Religion, part 6: The Scapegoat (3rd ed., London, 1913; rpt 1980, cited after rpt), 8–30, esp. 24.

[كتاب يورسلاف ستيتكيفيتش: **محمد والغصن الذهبي؛ إعادة بناء أسطورة عربية**، مترجَم إلى العربية بعنوان: **العرب والغصن الذهبي؛ إعادة بناء الأسطورة العربية**، ترجمة: سعيد الغانمي (المركز الثقافي العربي: ٢٠٠٥). انظر الفصل الرابع، تحت عنوان: «غوامض الرجم»، ص١٠٩ وما يليها]. (المترجم).

(٢) مبكرًا، ربط الطبري بين قبر أبي رغال ورجم الجمرات (**تفسير الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن** [القاهرة، ١٩٥٤ – ١٩٦٩]، المجلد ٢٥، ص١٦٧).

(٣) Stetkevych, *Golden Bough*، ص٤١ – ٤٢؛ الطبري، **تاريخ الرسل والملوك** (ليدن، ١٨٧٩ – ١٩٠١)، المجلد الأول، ص٩٣٧ (وانظر: كليفورد إدموند بوزورث، **تاريخ الطبري**، المجلد الخامس: **الساسانيون والبيزنطيون واللخميون واليمن** [نيويورك، ١٩٩٩]، ص٢٢٣، حاشية رقم ٥٥٢).

[أبو رغال –بكسر الراء وبضمها– أو أبو ثقيف، واسمه قُدار، قيل: إنه عاقِرُ ناقة صالح، وجابي صدقات ظلوم لنبيّ الله صالح، وعبد لنبيّ الله شُعيب، ومترجِم ودليل أبرهة في حملته على مكة. يُرْوَى في السّيَر أن =

الشاهد الكتابي المتعلق بأخان (Achan) بن كرمي الذي غَلّ من أنفال فتح أريحا فـ«رَجَمَتْه إسرائيل عن بكرة أبيها بالحجارة... وأقاموا فوقه رُجمة حجارة ضخمة لا تزال موجودة حتى يومنا هذا»[١] (سفر يوشع ٧: ٢٥-٢٦)[٢]. وبالإضافة إلى هذا الشاهد، ثمة سوابق كتابيّة وفيرة[٣]، الأمر الذي يُشير إلى أن رَجْم المرء لخصومه بالحجارة، على نحوٍ شعائري، كان ممارسة موجودة في الشّرق الأدنى قبل الإسلام[٤].

=

النبيّ قد اكتشف قبره في الطريق إلى تبوك وحفره الصحابة فوجدوا فيه غصنًا ذهبيًّا. وللتفصيل، انظر: **العرب والغصن الذهبي**. والشواهد الشعرية الأموية، وهي من شعر الفرزدق، ومسكين الدارمي، وعمرو بن دراك العبدي، مذكورة في صفحة ١١١ وما بعدها، ومنها قول جرير:

إذا مات الفرزدق فارجموه كما ترمون قبر أبي رغال]. (المترجم).

(١) نصوص الكتاب المقدّس المستشهد بها في هذه الدراسة من ترجمتي ما لم أنصّ على غير ذلك. (المترجم).

(٢) عن الصلة المحتملة بين رجم الشيطان وطقس التشليخ اليهودي، انظر:
Adam Silverstein, "Parallels between Some Jewish and Islamic Rituals," Jerusalem Studies in Arabic and Islam (قيد النشر).

[وطقس التشليخ يمارَس ظهيرة رأس السنة اليهودية (روش هاشاناه/ يوم الصيحة)، أول أيام التوبة العشرة، وفيه يجتمع اليهود على ضفاف نهر أو ما شابه ذلك، ليرموا فيه (رمزيًّا) خطاياهم ويستغفروا الله]. (المترجم).

(٣) انظر أدناه، حول سفر صموئيل الثاني ١٦: ٥-٦، ١٣.

(٤) ينبغي أن نلاحظ أن الرجم كان يُستخدم لتنفيذ عقوبة الإعدام في الشّرق الأدنى القديم وكذلك في الشريعة الإسلامية. في الكتاب المقدّس، القتل بالرجم منصوصٌ عليه باستخدام الجذر: س-ق-ل (كما في:
=

أمّا الرجم السماوي للشيطان فمُشَار إليه في القرآن نفسه، وتحديدًا في (سورة المُلك، آية ٥)[١]، التي تقول لنا: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا

=

الخروج ١٩: ١٣، ٢١: ٢٨؛ التثنية ١٣: ١١، ١٧:٥، ٢١:٢١، ٢٢: ٢١) والجذر: ر-ج-م (كما في: اللاويين ٢٠: ٢، ٢٠: ٢٧، ٢٤: ١٦؛ العدد ١٥: ٣٥). لكن بالرغم من أنّ الأحبار قد قبِلوا بالرجم كواحد من الطرائق الأربع الشرعية لتنفيذ عقوبة الإعدام، إلا أن المصطلح الفقهي الذي استخدموه من الجذر: س-ق-ل (سيقيلا). أمّا في الشريعة الإسلامية، فالمصطلح المستخدم للرمي بالحجارة كضرب من ضروب تنفيذ حدّ القتل (على المحصن الزاني) فمشتق من الجذر: ر-ج-م. لكن على الرغم من كلّ ما ذُكِر، ليس ثمة دليل -من مصادر الشرق الأدنى القديم أو المصادر الإسلامية- على ممارسة رجم الشيطان كطريقة لتنفيذ عقوبة الإعدام فيه.

(١) إن شئنا الدّقة، هذه الآية (وآيات سورة الصافات المستشهَد بها في الهامش الآتي) تتحدّث عن الشياطين [وليس الشيطان]، الأمر الذي من شأنه أن يضعف من قيمة الاستشهاد بهذه الآيات في حجاج عن الشيطان. لكن على الرغم من ذلك، قد يكون لرجم الشيطان (أو الشياطين) ماديًّا بالحجارة سوابق كتابية؛ ففي سفر إشعياء ١٤: ١٢ وما بعدها، مذكور أن «هيليل بن شحر» [بالعبرية، وترجمتها الحرفية هي «بنت السَّحَر»، والكلام على كوكب الزهرة]، المترجم اسمها في طبعة الكتاب المقدّس اللاتينية الشعبية (الـvulgate)، وعلى نحوٍ مُغوٍ، بـ«لوسيفر» (Lucifer)، قد سقطتْ من السماء، بمصطلحات تستدعي بوضوح سقوط الشيطان في التراث اليهودي-المسيحي [الآيات هي: كيف سقطْتِ من السماء، يا نجمة الصبح، يا بنت السحر! كيف رُمِيتِ إلى الأرض، أنتِ يا مَن قهرت الأمم!]. وعن سياق هذه المرويات في الشرق الأدنى، انظر:

P. D. Hanson, "Rebellion in Heaven, Azazel, and Euhemeristic Heroes in 1 Enoch 6–11," *Journal of Biblical Literature* 96 (1977): 195–233.

وعن الربط بين اسم لوسيفر والشيطان، انظر ما يأتي.

لِلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴾[١]، لو كان علينا أن نقرّ بشيء إذن، فسينبغي علينا أن نقِرّ بأنه بحسب القرآن، الشيطان مرجوم ماديًّا في حقيقة الأمر[٢]؛ وبالتالي، أيًّا كان المعنى الذي سيتبيّن لنا من هذه الدراسة أنه المعنى الحرفي الأصلي لمصطلح **الشيطان الرجيم**، فلن يكون نفس المعنى المذكور في القرآن.

ومن الحقائق المهمّة بدرجة معتبَرة في هذا السياق، أنّ اليهود قد استخدموا في العصور القديمة المتأخّرة لغةً تُشير إلى أنّه من الممكن درء الشيطان واتقاؤه عن طريق رمي الأشياء عليه. وحتى صيغة الاستعاذة الإسلامية: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم[٣]، لها نظيراتها في التلمود؛ ففي التلمود البابلي، نسمع باستمرار الأحبار يدعون قائلين: «سهمٌ في عينيك، يا شيطان!»[٤]. وفي أحد المواضع، يُروى لنا أنّ بيلمو (Pelimo)[٥] اعتاد أن

---

(١) ومن الآيات ذات الصلة أيضًا: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ﴾ [الصافات: ٦ – ٨].

(٢) عن هذه الفكرة، انظر:

P. J. Awn, *Satan's Tragedy and Redemption: Iblis in Sufi Psychology* (Leiden, 1983), 38.

(٣) سورة النحل: ٩٨: ﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾.

(٤) على سبيل المثال في: BT Kiddushin, 29b–30a, 81a–b; Menachot, 62a; Sukka 38a

(٥) حكيم عاش في القرن الثالث، تلميذ الحبر يهوذا هاناسي، واسم بيلمو هو المقابل الهلينستي لاسم بنيامين على الأرجح، انظر:

=

يقول: «سهمٌ في عين الشيطان!» في كلّ يوم، إلى أن تجلّى له الشيطان، في نهاية المطاف، وسأله: لماذا تلعنني بهذا القول؟ فردّ عليه بيلمو: «وما الذي يتعيّن عليَّ قوله [حتى أدرأك وأتّقِيك]؟»، فأجابه الشيطان: «[قل] يا الله يا رحمن ازجر الشيطان!»[(١)]. ويحكي لنا التلمود بعد ذلك خبر الحبر حيّا بار عاشي (Hiyya

=

Admiel Kosman, (2010). "Pelimo and Satan: A Divine Lesson in the Public Latrine", *CCAR Journal: The Reform Jewish Quarterly,* p 145. Not no. 1. (المترجم)

(١) BT Kiddushin 81a.

[نجد موتيف الشيطان، المحالف لحفّاري قبره، إذا جاز التعبير، الذي يدلّ المؤمنين على الأقوال التي من شأنها أن تحميهم منه، في السنّة النبوية، كما في الحديث الآتي، الذي رواه البخاري: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «وكَلَني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام، فأخذته وقلت: والله لأرفعنّك إلى رسول الله ﷺ، قال: إني محتاج وعليّ عيال ولي حاجة شديدة، فخلَّيتُ عنه فأصبحتُ فقال النبيّ ﷺ: (يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟)، قلت: يا رسول الله، شكا حاجةً شديدةً وعيالًا فرحمتُه فخلّيتُ سبيلَه، قال: (أمَا إنه قد كذبَك وسيعود)، فعرفتُ أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ إنه سيعود، فرصدتُه فجاء يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنّك إلى رسول الله ﷺ، قال: دعني فإني محتاج وعليّ عيال لا أعود. فرحمته فخلّيتُ سبيله فأصبحتُ فقال لي رسول الله ﷺ: (يا أبا هريرة ما فعل أسيرك؟). قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالًا فرحمتُه فخليتُ سبيلَه، قال: (أمَا إنه كذبَك وسيعود). فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلتُ: لأرفعنّك إلى رسول الله، وهذا آخر ثلاث مرات تزعم لا تعود ثم تعود، قال: **دعني أُعلّمك كلماتٍ ينفعك اللهُ بها، قلت: ما هو؟ قال: إذا أويتَ إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] حتى تختم الآية؛ فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنّك شيطان حتى تصبح؛** فخلّيتُ سبيلَه فأصبحتُ فقال لي رسول الله ﷺ: (ما فعل أسيرك البارحة؟)، قلتُ: يا رسول الله، زعم أنه

=

bar Ashi)، الذي كان يسجد في صلاته ويدعو قائلًا: «يا الله يا رحمن نجِّنا من الشيطان!»[(١)]. ويعزّز الشبه بين الاستعاذة وهذا الدعاء، أن الاستعاذة تُقَال قبل تلاوة القرآن أثناء الصلاة، لكن ما يهمّنا هنا، هو أنّ بعض اليهود كانوا يؤمنون، عشية الإسلام، بأن الشيطان يمكن درؤه واتقاؤه عن طريق رميه بالأشياء [السهم هنا].

=

يعلمني كلماتٍ ينفعني اللهُ بها فخليتُ سبيلَه، قال: (ما هي؟)، قلت: قال لي إذا أويتَ إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم؛ ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح -وكانوا أحرص شيء على الخير-، فقال النبي ﷺ: (أمَا إنه قد صدَقَك وهو كذوب، تعلمُ مَن تخاطِب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟). قال: لا، قال: (ذاك شيطان)]. (المترجم).

(١) المرجع السابق، 81b. والمصطلح المستخدم للإشارة إلى الشيطان هنا هو *yeṣer ha-raʿ*، أو «الطبع الشرير». وكون هذا المصطلح يحيل على الشيطان هو أمر لا يمكن أن تخطئه العين. وذلك اعتمادًا على مصادر حبريّة (حاخاميّة) أخرى، وعلى سياقه في التلمود نفسه؛ فهذه الحادثة مرويّة مباشرة بعد مرويات أخرى تتحدّث عن تحاور الأحبار مع الشيطان. ولنلاحظ أيضًا أن الشيطان يُشار إليه في العهد الجديد بـ«الشرير» (ho poneros، the evil one، متّى ١٣: ١٩) أو بـ«المغوي» (ho periazon، the tempter، متّى ٤: ٣). ويمكن أن نجد نظائر تلمودية أخرى للاستعاذة في التلمود البابلي، كما في: Berachot 16b and 46a.

معنى رجيم: «ملعون»:

معظم الشواهد (اليهودية في الأساس) الدالّة على فكرة أنه عشيّة الإسلام كان من الممكن رجم الشيطان ماديًّا، قد مرّت من تحت أعين المتخصّصين المتأخرين من دون أن يلتفتوا إليها[١]. وعوضًا عن ذلك، استشهدوا منذ القرن التاسع عشر بشواهد (مسيحيّة في الأساس) تدلّ على أنّ المعنى الحرفي للشيطان الرجيم هو «الشيطان الملعون». إِذْ يحيلون على نصوص إثيوبية، الجذر: ر-ج-م مذكور فيها، في سياقات ذات صلة، بمعنى (لعَن)[٢]. ففي الكتاب المقدّس الإثيوبي، على سبيل المثال، لعن الحيّة المذكور في سفر التكوين، الإصحاح الثالث، الآية ١٤[٣]، معبّر عنه بالجذر: ر-ج-م، (كلمة

(١) لم أطّلع على أيّة دراسة في هذا الموضوع تحيل على الشواهد التلمودية المستشهَد بها أعلاه.

(٢) فريدرك روكرت هو على الأرجح أوّل من قال بأن لفظ (رجيم) مشتقّ من الإثيوبية، واشتهرت هذه النظرية على يد تيودور نولدكه، انظر:

Der Koran: Im Auszuge übersetzt von Friedrich Rückert, ed. A. Müller [Frankfurt, 1888], 440; Theodor Nöldeke, *Neue Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft* [Strassburg, 1910], 25, 47.

ولعرض وافٍ لهذا القول، انظر: رينولدز، Qurʾān and Its Biblical Subtext، ص٥٤- ٦٣.

(٣) الآية هي: «فقال الربُّ للحيّة: ملعونة أنتِ من جميع البهائم وجميع وحوش الأرض، بسبب فعلتكِ التي فعلتِ [غواية حواء بالأكل من الشجرة]، فعلى صدركِ وبطنكِ ستسعين، وترابًا ستأكلين، كلّ أيام حياتك». (المترجم).

arūr العبرية في الآية ١٤ مترجمة إلى الإثيوبية بـ *rəgəmt*)[١]. وفي المصادر الإثيوبية المتأخّرة لا نرى نفس الجذر مستخدمًا وحسب، وإنما مستخدم لوصف الشيطان فوق ذلك (فعبارة *sayṭān regūm*، أي: «الشيطان الملعون» منصوص عليها صراحة)[٢]. ولقد حظيتْ هذه النظرية القائلة بأنّ الشيطان الرجيم تعني الشيطان الملعون -وهي النظرية التي لها ما يدعمها من الناحية الدلالية والفيلولوجية- بتأييد واسع بسبب تبنِّيها دون غيرها من طرف علماء كبار مثل: تيودور نولدكه، وفرانز روزينتال، وأرثر جيفري، وشلومو جويتين[٣]،

---

(١) من الأهمية بمكان هنا أن نستحضر حقيقة أنّ مفسري الكتاب المقدّس قد ربطوا، منذ القِدَم، بين حيّة جنة عدن والشيطان. والجذر: ر-ج-م مستخدم أيضًا في الترجمة الإثيوبية للآية ٤١ من الإصحاح ٢٥ من إنجيل متّى، التي تتحدّث عن رمي الملعونين في النار مع الشيطان [الآية: «ثم يقول لأصحاب الشمال: اغربوا عن وجهي، أنتم يا من حلّت عليكم لعنتي، إلى نار جهنم خالدين فيها أبدًا، مع الشيطان وجنده»].

(٢) عن هذه العبارة، انظر:

A.Jeffery, *The Foreign Vocabulary of the Qurʾān* (Baroda, 1938), 140; K. Ahrens, "Christliches im Koran: Eine Nachlese," *Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft* 84 (1930): 39; Reynolds, *Qurʾān and Its Biblical Subtext*, 54ff.

لكن تعيين تاريخ كتابة هذه النصوص الإثيوبية المتأخّرة أمر مشكل، ويمكن المُحَاجَجَة عن أن العبارة الإثيوبية مأخوذة من العبارة القرآنية «الشيطان الرجيم» وليس العكس. وسنرى فيما يأتي مثالًا على ذلك، حيث عبارة: *sāṭānā rgīmā* في كتاب: *Ginza Raba* [**الكتاب العظيم**] المندائي، مأخوذة على الأرجح من العبارة القرآنية.

(٣) مؤرخ وإثنوجرافي ومستعرب ألماني (١٩٠٠- ١٩٨٥)، أهم أعماله:

=

ومؤخّرًا مانفريد كروب[١][٢]. قد يكون من الطيش إذن أن يحاجج المرء ضدّ هذه الأسماء ذات الثقل الأكاديمي الكبير، خاصّة إذا ما أخذنا في الاعتبار أنّ ثمة شواهد تشير إلى أن قصة سقوط إبليس في القرآن متأثّرة بالمرويات القِبْطية التي نُقلت إلى الحجاز من جنوب الجزيرة العربية (اليمن الكبير)[٣]، وأنّ قصة رفض الشيطان السجود لآدم مع الملائكة (والتي يُوصف فيها بأنه رجيم في القرآن كما سنرى) كانت مكتملة ومتداولة في الدوائر المسيحيّة في الأساس. وعلاوة على ذلك، في المصادر السريانية القديمة المتأخّرة[٤]، نجد أنه من الممكن للمرء أن

=

A Mediterranean Society: The Jewish Communities of the Arab World as Portrayed in the Documents of the Cairo Geniza. (المترجم) (في ستة مجلدات)

(١) مؤرخ ألماني (١٩٤٧-)، أستاذ الدراسات الإسلامية والساميّة بجامعة ماينز. (المترجم).

(٢) F. Rosenthal, "Some Minor Problems in the Qurʾān," in *The Joshua Starr Memorial Volume: Studies in History and Philology* (New York, 1953), 83; Jeffery, *Foreign Vocabulary*, 139–40; S. D. Goitein, *Studies in Islamic History and Institutions* (Leiden, 1966), 77; M. Kropp, "Der äthiopische Satan = šayṭān und seine koranischen Ausläufer; mit einer Bemerkung über verbales Steinigen," *Oriens Christianus* 89 (2005): 93–102.

(٣) عن ذلك، انظر: W. Bishai, "A Possible Coptic Source for a Qurʾanic Text," *JAOS* 91 (1971): 125–28.

(٤) قارن على سبيل المثال بكتاب يوحنا الإفسيسي (ت. ٥٨٦) **حياة القديسين المشارقة**، المجلد الأول، ص١٠١ (تحقيق بروكس)، حيث نقرأ: *ʾenun nergum wa-b-ḥermawhy*، وبلعناته سوف يرجمهم.

(يرجم) باللعنات، تمامًا كما نقول: (قذفه بالسباب) و(رماه بالافتراءات)[١].

وفي الكتاب المقدّس نجد ارتباطًا وثيقًا بين رجم المرء لأعدائه ولعنه لهم: إِذْ يُروى أن عدو الملك داود، شمعي بن جيرا (Shimei ben Gera) قد «أخذ يلعن داود عندما أتى، ويرميه بالحجارة... وبينما كان داود يسير هو ورجاله في الطريق؛ سار شمعي بجانب التل قبالتهم وأخذ يلعنه ويرميه بالحجارة» (صموئيل الثاني ١٦: ٥-٦، ١٣)[٢].

(١) القرآن نفسه يستخدم الجذر: ر-م-ي في سياق الاتهام، كما في: ﴿يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ [سورة النور: ٤]. ولنلاحظ أن الجذر السامي: ر-م-ي/ ر-م-هـ يعني في العربية الرمي أو القذف، بينما يعني في العبرية الغش أو الكذب. (يوسف ويزتم هو من لفت انتباهي إلى هذه الفكرة).

(٢) من المثير للانتباه، لكن من غير المهم ربما، أنّ في هذا السياق نفسه، اقترح أفيشاي مستشار داود على الأخير أن يعاقب شمعي، فردّ عليه داود قائلًا: «ما لي ومالك! ...أتريد أن تكون شيطانًا لي اليوم؟» (صموئيل الثاني ١٩: ٢٢) [والمغزى من هذا الشاهد هو أن الشيطان مذكور مع الرّجم بالحجارة واللعن في سياق واحد]. (المترجم).

رجيم كـ«لقب» ثابت:

يتّضح من النقاش السابق للقولين -الرَّجِيم تعني (المرجوم)، والرَّجِيم تعني (الملعون)- أنّ لكلٍّ منهما ما يؤيّده من الشواهد بحيث يتعذّر علينا ترجُّح أحدهما على الآخر بشكلٍ حاسمٍ. ففي ضوء هذه الشواهد، ليس بمقدورنا أن نطرح تفسيرًا لعبارة الشيطان الرَّجِيم أفضل من القول بأنها تعني: «الشيطان المرجوم ماديًّا ومجازيًّا» (أو أيّ صيغة أخرى أكثر رشاقة)، مع الأخذ في الاعتبار أن العبارة القرآنية كان لها -على الأرجح- وقعٌ مختلف على أُذُنِ كلٍّ من المستمعين اليهود [المرجوم ماديًّا] والمستمعين المسيحيين [المرجوم مجازيًّا؛ الملعون]. لكن على الرغم من ذلك، من المحتمل أنّ الأصل الاشتقاقي الدقيق لكلمة «الرَّجِيم» أو حتى معناها لم يكونَا أمرًا يشغل الموحّدين في الشرق الأدنى عشيّة ظهور الإسلام، وأنهم كانوا يَصِفون بالرَّجِيم (أو بكلمة مشابهة) الشيطانَ أو قوى الشَّرّ الأخرى من دون الاهتمام بتعيين الدلالة الحرفية لهذا اللفظ.

إحدى مشاكل هذين المعنيين للرَّجِيم: (المرجوم) و(الملعون)، أنهما مفعولان من حيث الدلالة ومن حيث الشكل (الوزن)[1]. وبالرغم من أن ذلك

(١) للمزيد عن صيغة المفعول من الوزن فُعِلَ (مفعول: مرجوم/ ملعون هنا) انظر:
W. Wright, *A Grammar of the Arabic Language* (3rd ed., Cambridge, 1991), 136.
=

ليس بأيّ حال من الأحوال اعتراضًا حاسمًا على هذين القولَيْن، إلا أنه قد يبدو غريبًا أن يُؤمَر المسلمون بأن يستعيذوا بالله من الشيطان المرجوم (بالحجارة أو باللعنات)، كما في سورة النحل آية ٩٨: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾، فالشيطان -وفقًا لهذين المعنيين- هو الذي ينبغي له أن يستعيذ ويحتمي من أفعال الآخرين [وليس العكس بما أنه مرجوم أو ملعون بالفعل]. لكن هذا المعنى المفعول للفظ رَجِيم يمثّل مشكلًا لنا فقط حال كان أولئك الذين يستخدمونه لنعت الشيطان مدرِكين لمعناه، بينما واقع الأمر هو أن نعت رجيم كان يُستخدم عشيّة ظهور الإسلام -على ما يبدو- كلقب(١) ملحق باسم الشيطان بصرف النظر عن معناه الحرفي أو الأصلي(٢). وهذا قول مدعوم

=

وبالرغم من أن وزن (فعل) لا يأتي في صيغة المفعول على الدوام في العربية، إلا أنه من الجدير بالملاحظة أن الجذر *fa ʿīlā* يأتي في صيغة المفعول عادة في السريانية، وهو ما قد يكون ذا صلة بمعاني الكلمات القرآنية.

(١) Surname، أيْ إنّ الرجيم عبارة عن لقب ثابت، كاسم العائلة، وليس مجرّد نعت للشيطان. (المترجم).

(٢) اسم (الشيطان) Satan نفسه قد مَرّ بتطور مماثل؛ إذ بدأ كاسم عبري [**ساطان**]، ومعناه على الأرجح هو: العائق، العقبة، المعارض أو الخصم، الخصيم، الغريم، المقاوم، [والفعل منه هو **سطن**، أي: اعترض، عارض، خاصم، قاوم] -قارن بسفر العدد ٢٢: ٢٢ [«وحمى غضب الرب [على بَلْعَم بن بِعور] لأنه مضى؛ وانتصب ملاك الرب ليعترض طريقه»]، ثم انتهى به المطاف كاسم (ثابت) لذلك الذي يتهم الإنسان. ففي العهد الجديد نجد ترجمة حرفية لمعنى كلمة شيطان Satan وهي (المتهِم)

=

بشواهد مندائية وسريانية: فيما يخصّ الشواهد المندائية، فالتعاويذ السِّحرية التي تحمي من قوى الشر تتضمن عبارة *rgīmā*، (مشلول) أو (متحجّر). وتظهر هذه التعاويذ في طاسات سحرية [أحجبة] تعود إلى حوالي ٦٠٠م، وبالتالي هي محصنة ضدّ أشكال النقد التي توجّه للمصادر الأدبية القادمة من هذه الحقبة[١].

شاهد مندائي آخر فاتن بقدر ما هو إشكالي يأتي من كتاب: *Ginza Raba*

=

accuser (ديابولوس باليونانية، ومنه إبليس بالعربية)، وكذلك نجد اللفظ نفسه غير مترجم *"[ho]satanas"* (وهي الكلمة التي ليس لها معنى في اليونانية)، وعن ذلك انظر: Bicksler, *Job's Spiritual Journey*، ص٤٨٥ – ٤٩٠. وعن الميوعة المماثلة لاستخدام مرادفات لفظ الشيطان فيما بين يهود حقبة الهيكل الثاني [من ٥١٦ قبل الميلاد إلى ٧٠م– والهيكل الأول هو هيكل سليمان الذي دمّره البابليون، والهيكل الثاني هو الذي بناه اليهود بعد العودة من السبي البابلي في ظلّ حُكم الفرس، ودمّره الرومان عام ٧٠] انظر قول مايكل ماك: «مسألة ما إذا كان لفظ **ماستيما** (*Mastemah*) يُستعمل كاسم شخص [العدو، الخصيم؛ أي: الشيطان] أم كمصدر [العداوة والخصومة والبغضاء] في مخطوطات قمران وفي سفر اليوبيل هي مسألة محل جدل» ("Demons," in *Encyclopedia of the Dead Sea Scrolls*, ed. L. H. Schiffman and J. C. Vanderkam [Oxford, 2000], 1: 191).

(١) E. M. Yamauchi, *Mandaic Incantation Texts* (New Haven, 1967), 226–29 (§20), 272–75 (§27).

من الجدير بالذكر أن ياماوتشي يترجم لفظ *rgīmā* بالـ(المرجوم بالحجارة)، لكن هذه الترجمة غير ملائمة في هذا السياق: «الأفواه الشريرة» «مكممة» (*blīmā*) و«مرجومة» (*rgīmā*). فالأرجح أن لفظ: *rgīmā* مستعمل هنا كمسمى ثابت للإشارة إلى القوى الشريرة المؤذية.

[الكتاب العظيم] (١٥.٢)[١]، حيث نجد عبارة: *sāṭānā rgīmā*. لكن مشكلة هذا الشاهد أنه مذكور في نسخة واحدة من الكتاب، ومن الوارد جدًّا أن تكون العبارة مُقحمة فيها في زمن تالٍ على الإسلام، وبالتالي متأثّرة بالعبارة القرآنية **الشيطان الرجيم**. أمّا الشواهد السريانية فتأتي من النصّ المنحول على القدّيس إفرام السرياني **رسالة إلى أهل الجبل**[٢]، حيث نجد عبارة: *daggālā rgīmā* (الدجّال الرَّجِيم)[٣].

لكن يوجد ثلاث مشاكل في استخدام هذه النصوص لأغراضنا هنا؛ أولًا: على الرغم من أنّ بعضًا قد دافع عن صحّة نسبة **رسالة إلى أهل الجبل** إلى

---

(١) M. Lidzbarski, *Ginza: Der Schatz oder Das große Buch der Mandäer* (Göttingen, 1925), 17 n. 2.

(٢) In *S. Ephraemi Syri: Rabulae episcopi Edesseni / Balaei aliorumque opera selecta e codicibus Syriacis manuscriptis in Museo Britannico et Bibliotheca Bodleiana asservatis primus*, ed. J. J. Overbeck, 131 l. 11
حيث نقرأ: «ارحل عن البرية، أيها الدجال الرجيم!»، وفي موضع سابق من النصّ (١.٦)، نجد لفظ دجال من دون رجيم.

(٣) لفظ: *Daggālā* السرياني مشترك في الجذر مع لفظ (دجال) العربي كما هو واضح. وعلى الأرجح هو أصل كلمة دجّال ومفهوم الدجّال [أي: المسيح الدجال] في الإسلام المبكّر. وفي السريانية يعني الخداع ويضاف غالبًا إلى لفظ: *mšīḥā* ليعني المسيح المزيّف أو المسيح الدجّال. وبالرغم من أن لفظ الدجّال ليس مرادفًا للفظ الشيطان، إلّا أن العلاقة اللاهوتية والدلالية بين الشيطان والمسيح الدجال تحتاج إلى قدر من التفسير.

إفرام[1]، لكن الرأي الراجح (والشائع في الدوائر الأكاديمية) هو نسبتها إلى الأسقف والكاتب السرياني يعقوب الرهاوي (٦٤٠- ٧٠٨)، مما يجعلها تالية على القرآن تاريخيًّا. وثانيًا: حتى الشواهد التي تعود إلى سنة ٦٠٠م، وبالتالي هي سابقة على القرآن، من الوارد أن تكون متأثّرة باللغة العربية. فالافتراض القائل بأن العربية المستخدمة في القرآن لم تكن موجودة قبل القرآن مدحوض بالنقوش العديدة المكتوبة بالعربية التي تعود إلى ما قبل الإسلام (ناهيك عن الشعر الجاهلي بالطبع). أجل، لم نجد عبارة الشيطان الرَّجِيم في هذه النقوش ولا في الشعر الجاهلي حتى الآن، لكن الفكرة العامة القائلة بأن لغة القرآن سابقة على القرآن يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار. وثالثًا: حتى لو كان الشيطان معروفًا بالرَّجِيم فيما قبل الإسلام، من دون دراية محدّدة بمعنى هذا اللقب، سيظلّ لنا أن نتساءل نحن عن معناه الحَرْفِي الأصلي. فالنظرية القائلة بأن لفظ الرجيم مشتقّ من الإثيوبية (ويعني: الملعون)، تتعارض مع الآية الخامسة من سورة الملك (حيث الشيطان مرجوم ماديًّا بالشهب)، ومع الشواهد التلمودية التي نجد فيها الأحبار يدرؤون الشيطان عن طريق قذفه بالأشياء، الأمر الذي يشير إلى أنه بحلول الزّمن الذي استخدمت فيه عبارة الشيطان الرَّجِيم في

(١) على سبيل المثال؛ أرثر فوبس الذي اعتمد رأيًا (متطرفًا)، وحكم بصحة نسبة الرسالة إلى إفرام، مما يجعلها مكتوبة في القرن الرابع الميلادي، انظر:

A. Vööbus, *A Letter of Ephrem to the Mountaineers: A Literary Critical Contribution to Syriac Patris-tic Literature* (Pinneberg/Hamburg, 1947).

القرآن، كان النسيان قد طوى معناها الأصلي[١]، وهي فكرة أشار إليها كلّ من نولدكه وروزينتال[٢]. وآخذين ذلك في اعتبارنا، سننصرف فيما يأتي إلى الجواب الجواب على السؤال الآتي: ما هو بالضبط هذا المعنى المنسيّ لمصطلح الرِّجِيم؟

(١) يمكن المجادلة عن أن القرآن قد أعاد تأويل اللفظ الإثيوبي عن قصد ليعني «مرجوم» ماديًّا عوض «ملعون» (تمامًا كما يعيد -أحيانًا- تأويل سمات وسِيَر الشخصيات ما قبل الإسلامية [كما هو الحال مع هامان مثلًا الذي نقله من فارس -موضعه في سفر إستير- إلى مصر، من بلاط خشايارشا الأول/ Xerxes 1 إلى بلاط فرعون]). لكن لا يوجد سبب يدعونا إلى القول بأن القرآن يفعل ذلك في حالتنا هذه، بما أنه لا توجد أيّة غاية سجالية (لاهوتية) من وراء القول بأن الشيطان مرجوم وليس ملعونًا.

(٢) Theodor Nöldeke, *Neue Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft* [Strasburg, 1910], 25, 47; F. Rosenthal, "Some Minor Problems in the Qurʾān," in *The Joshua Starr Memorial Volume: Studies in History and Philology* (New York, 1953), 83.

أقوال أخرى:

قبل الشروع في عرض القول الأساسي الذي أُدَافع عنه في هذه الدراسة، توجد بعض الأقوال الشارِدة -أي: بعض الأقوال المحتملة التي لم يطرحها أحدٌ من قبل أو التي طُرِحَت لكنها لم تُفحص على نحوٍ جادّ- التي تستحقّ انتباهنا.

القول الأول قد طرحه روزينتال. الذي نأى بنفسه عن السِّجال بين أنصار القول بأن الرَّجِيم تعني (المرجوم)، وأنصار القول بأن الرَّجِيم تعني (الملعون)، وتساءل في قلّة من الفقرات القصيرة المدفونة في آخر مقالة من مقالاته الشهيرة، عمّا إذا كان من الممكن للفيلولوجيا الساميّة القديمة أن تساعدنا في الجواب على هذه المسألة[1]. ومعتمدًا على الاستعمال الأوجاريتي والأكدي للجذر: ر-ج-م، لاحظ أنّ المعنى الأساسي لهذا الجذر قد كان (التكلّم) أو (التذمّر). وتغدو أهمية ذلك واضحة عندما يتبيّن لنا أنّ الشيطان، في القرآن، ينجز الكثير من إضلاله بواسطة الكلام. فكما يقول أندرو ريبن: «ضمن الوسائل التي يستخدمها الشيطان في إضلال الناس، يوجد العديد من الوسائل الصوتية: فهو

---

(١) Rosenthal, "Some Minor Problems," 83–84.

مقالة روزينتال بعنوان: (بعض الإشكالات الصغيرة في القرآن)، وتبحث في ثلاثة إشكالات: معنى الصّمَد، ومعنى عَنْ يَدٍ، ومعنى الرّجِيم. ولقد فحص الباحثون ما قاله في كلٍّ من معنى الصّمد ومعنى عن يدٍ (دون الرجيم)، مما يعني أن المقالة لم تكن مجهولة.

يدعو (لقمان: ٢١: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾). ويتكلم ببساطة (إبراهيم: ٢٢: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾، الحشر: ١٦: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ﴾). ويَعِد (البقرة: ٢٦٨: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾). ويوسوس (الأعراف: ٢٠: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾، طه: ١٢٠ ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾؛ وانظر أيضًا، ق: ١٦: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾، الناس: ٤، ٥: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾)[1]. لكن عندما راح روزينتال يتتبّع تطوّر الجذر السامي: ر-ج-م في الحقب اللاحقة، وجد أنه قد تحوّل في عبرية الكتاب المقدّس إلى: ر-ج-ن، بينما اختفى تمامًا من الآرامية؛ وبالتالي يبدو أنّ هذا المعنى الصوتي لجذر: ر-ج-م قد اختفى قبل قدوم الإسلام بفترة طويلة. أحد الأمثلة التي ساقها روزينتال على الجذر: ر-ج-ن في الكتاب المقدّس هو آية ٢٨ من الإصحاح الـ١٦ من سفر الأمثال، لكنه لم يناقشه بأيّ قدر من التفصيل. وهاكم نصّ الآية مع التي قبلها: «الخبيث (*ʾish beliyyaʿal*) ينبش وراء السّوء، وشفتاه تقطران نارًا موقدة؛ والخصيم ينشر الخصومة؛ والوسواس (نرجان/ nirgan) يفرّق بين الأخِلّاء». وهذه الفقرة تستحق اهتمامنا لسببين؛ أولًا: ذكر بليعال Beliʿal

(١) A. Rippin, "Devil," in *Encyclopaedia of the Qurʾān* (Leiden, 2001–2006), 1: 526.

والنار المتّقدة على شفتيه، يشير بقوّة أنّ السياق سياق شيطاني[١]، وذِكر الجذر: ر-ج-ن في الآية الموالية (نرجان) يضاعف من أهمية الفقرة بالنسبة لنا. وثانيًا: في كتاب *Genesis Rabba* [تفسير سفر التكوين العظيم]، وهو مدراش على سفر التكوين يعود إلى القرن الخامس، يُطْلَق «الخصيم» و«الوسواس» المذكوران في آية سفر الأمثال على حيّة جنة عدن[٢]. فمذكور أن الحيّة قد وسوست [لحواء] ضد أوامر الله (*riggen devarim ʿal boreʾo*). وهو الأمر الذي يربط الشيطان، الذي يُماهَى بينه وبين حيّة جنة عدن، بالجذر: ر-ج-ن، ويعطيه دورًا فاعلًا في قصّة الأكل من الشجرة. وبالتالي من الممكن لعبارة الشيطان الرجيم أن تعني «الشيطان الذي يوسوس ضدّ أوامر الله». وهكذا نجد أن أفكار روزينتال تستحقّ أن تمحّض قدرًا من الاهتمام أكبر من الذي محضها له هو نفسه، وسأذكر بإيجاز فيما يأتي النقاشَ حول صلة الفيلولوجيا الساميّة القديمة بمعنى لفظ الرَّجِيم، وسأسعي إلى بيان أن الدلالة القديمة للجذر: ر-ج-م لم تُحفظ في الكتاب المقدّس العبراني إلّا من خلال الجذر: ر-ج-ن،

(١) بليعال، أحد أسماء الشيطان في حقبة الهيكل الثاني، وكان يُعتقد حينها -على نطاق واسع- أن الشيطان مخلوق من النار. قارن مع: M. Mach, "Demons", 190–91.

(٢) *Midrash Bereshith Rabba*, ed. J. Theodor and Ch. Albeck (Jerusalem, 1996), 1: 182–83 (§20b).

وأنّ الجذر: ر-ج-م قد احتفظ في بقية العالم الساميّ وفي الحِقَب المتأخّرة بمعناه القديم (الأكدي خاصّة).

أمّا القول الثاني فمصدره هو التناص القرآني الداخلي. إِذْ يبدو أنّ القرآن يشرح معنى الرَّجِيم في موضعين؛ في كِلَا الموضعَيْن يأمر اللهُ إبليسَ بالسجود لآدم، ويأبى إبليسُ مبرِّرًا ذلك بأفضليته [المتوهمة] على آدم؛ الموضع الأول في سورة الحجر: ٣٣- ٣٥: ﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾. والموضع الثاني في سورة ص: ٧٦- ٧٨: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾. وفي الموضعين يسير الأمر على النحو الآتي: ١- يرفض إبليس السجود لأنه يرى نفسه أفضل من آدم. ٢- فيطرده الله من السماء[(١)]. ٣- ويخبره أنه مرجوم[(٢)]. ويتناص هذان الموضعان مع هذا الموضوع من سورة الأعراف: ١٢، ١٣: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ

(١) أو من الجَنّة كما يقول المفسرون، لكن الأَوْلى من السماء. (المترجم).

(٢) قول الله لإبليس في الموضعين: إنّ عليك اللعنة/ لعنتي إلى يوم الدِّين، بعد قوله له: إنك رجيم، قد يكون حاسمًا لو اعتبرنا أن قوله الثاني: إنّ عليك اللعنة/ لعنتي إلى يوم الدِّين، بمثابة تحشية شارحة على الأول: إنك رجيم، (والمعنى: إنك رجيم، أي: «ملعون»، وهذه اللعنة عليك إلى يوم الدِّين)، وهي القراءة التي من شأنها أن تدعم بقوّة الرأي القائل بأن الرَّجِيم مشتقّة من الإثيوبية، وتعني: «الملعون». لكن تركيب الجمل في الموضعين لا يدعم القول بأنّ الجملة الثانية حاشية على الأولى.

﴿إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾. وهنا يسير الأمر على هذا النحو: ١- يرفض إبليس السجود لأنه يرى نفسه أفضل من آدم. ٢- فيطرده الله من السماء. ٣- ويخبره أنه ﴿مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾. وبمقارنة الموضعين الأول والثاني مع الموضع الثالث، وعلى افتراض أنّ الرسالة التي يريد أن يُوصِلها القرآن واحدة في المواضع الثلاثة، يمكن القول بأنّ: «رَجِيم» تعني «صَاغِر»[١]. لكن قراءة أخرى لهذه المواضع الثلاثة المتناصة قد تشير إلى أنّ: «رجيم» تعني ببساطة: «منبوذ ومطرود»، وهو المعنى الذي يتّفق مع السياق، ومع معنى الجذر: ر-ج-م، «يرمي» أو «يُلقي»، ومع صيغة المفعول، رجيم. وبناءً عليه، يمكن لعبارة الشيطان الرجيم أن تعني: «الشيطان الذي نُبِذَ وطُرِدَ (رُمي، أُلقي، طُرح) من السماء»[٢]. هذا الاستعمال للتناصات بغرض تعديل وضبط فهمنا للفظ رَجِيم، يساعدنا -بلا ريب- في فهم تأويل القرآن نفسه لعبارة الشيطان الرجيم. وبالرغم

(١) يدعمه أنّ التأثيل التقليدي الرائج جدًّا لاسم إبليس يردّه إلى أُبلس، أي: جُعل من اليائسين البائسين المنكسِرين [وهو معنى قريب جدًّا من جُعل من الصاغرين، أي: من المهانين المذلُولين]. لكن ردّ إبليس إلى ديابولوس اليونانية هو تأثيل مقبول على نطاق واسع أيضًا. قارن مع:
G. S. Reynolds, "A Reflection on Two Qurʾanic Words (Iblīs and Jūdī), with Attention to the Theories of A. Mingana," *JAOS* 124 (2004): 680–82.

(٢) هذا هو التأويل الذي يفضله جبريل سعيد رينولدز في كتابه: Qurʾān and Its Biblical Subtext، ص٥٤- ٦٣.

من أن هذه التناصات لا تكشف لنا عن المعنى الأصلي [السابق على القرآن] للجذر: ر-ج-م كوصف للشيطان، إلّا أنها تشير إلى أنّ القرآن نفسه ربما يستعمل هذا الجذر بمعانٍ مختلفة؛ فمرّة يستخدمه بمعنى: «مقذوف [بالشهب]» (الملك: ٥)، ومرّة بمعنى: «صاغر» أو «مطرود [من السماء]» (الأعراف: ١٢- ١٣). وهو ما يتّفق بقوّة مع الفكرة القائلة بأنه عشية ظهور الإسلام لم يكن الموحِّدون في الشَّرْق الأدنى يقصدون المعنى نفسه دائمًا عندما يَصِفُون الشيطان بأنه رجِيم.

أمّا القول الشارد الثالث فيأتي من سفر زكريا[١]، الذي يُعْزَى تاريخ كتابته -عادة- إلى القرن السادس قبل الميلاد، حيث يبدأ الإصحاح الثالث بالآتي: «وأراني الكاهن الأعلى يوشع، واقفًا بين يدي ملاك الربّ[٢]، والشيطان واقف عن يمينه [أي: يوشع] ليتّهمه، فقال الربّ للشيطان: الربّ يزجرُك يا شيطان، حقًّا الربّ الذي اصطفى أورشليم يزجرك ويردّ كيدك في نَحْرك؛ أليس هذا الرجل قبسًا من نار؟».

(١) أحد أسفار الأنبياء التي تؤلّف القسم الأوسط من الكتاب المقدّس العبراني/ التناخ (توراة+أنبياء+كتابات)، وزكريا هو أحد الأنبياء الاثني عشر المعروفين بالأنبياء الصغار. (المترجم).

(٢) يحيل ملاك الربّ (ملاك يهوه وأحيانًا ملاك إلوهيم، بالعبرية)، في الكتاب المقدّس العبراني أحيانًا على الربّ نفسه، أي: على الصورة التي يتجلّى بها ويحضر، وأحيانًا على رسول من ملائكته (جبريل؟). وهي تحيل في هذا النصّ على الربّ نفسه. (المترجم).

في هذا السياق، نجد أنّ الشيطان يلعب دورَ المُدّعِي أو (المُتهِم) في المحكمة السماوية [الملأ الأعلى؟]، الذي يسعى إلى عرض خطايا البشر وعيوبهم (يوشع في هذا الحالة) بين يدي الرب. والعبارة المستخدمة هنا لدرء الشيطان هي: «الرب يزجرك (*ga ʿar*) يا شيطان»، وهي العبارة نفسها التي أوصى بها الشيطان بيلمو -في التلمود البابلي كما سبق وذكرنا- ليدرأه بها (عوضًا عن قوله: «سهم في عين الشيطان!»). وبالرغم من أنّ الصلة الاشتقاقية بين الجذرين: *g-ʿ-r* (ج-ع-ر)، و*r-j-m* (ر-ج-م) ظنية في أفضل الأحوال[(١)]، إلّا أنّ هذه الدلالة: «الشيطان المزجور» قد تناسب لفظ الرجيم[(٢)]، وهي قريبة في المعنى من «الشيطان الملعون». وعلى الرغم من أنّ هذا القول هو القول الأضعف من بين هذه الأقوال الثلاثة، إلا أنه قد لفت انتباهنا إلى مجموعة من النصوص التي سيتبين لنا من خلالها السمة (الجوهرية) للشيطان، ومعنى (لقبه) الثابت الذي خُلِع عليه في العصور القديمة المتأخّرة: الرَّجِيم.

---

(١) النظرية القائلة بأن الجذور الثلاثية الساميّة هي في الأصل جذور ثنائية، تجعل الصلة بين الجذرين g-ʿ-r وr-j-m معقولة بقدرٍ ما، لكن القلب المكاني للحروف مع وجود ألفاظ أقرب اشتقاقيًا كـ: (ر-ج-ن) و(ر-ج-م)، يجعل هذا القول مستحيلًا أو يكاد من الناحية اللغوية.

(٢) الصلوات التي يتلوها مرتل الكنيسة قبل الصلوات الإضافية (الموساف) في يوم الغفران تتضمّن هذه الآية: «وازجر الشيطان (tigʿar ba-satan)، حتى لا يتهمني!»، وهو الأمر الذي يشهد على طول عمر هذه الصيغة الدُّعائية.

معنى الرجيم: «المُتَّهِم»:

ظهر الشيطانُ في المشهد لأول مرة في الكتاب المقدّس، وإن كانت شخصيته مدينة بجلاء لشخصيات سابقة من الشّرق الأدنى القديم[١]. فمقطعان من الكتاب المقدّس، يعودان إلى الحِقبة التاريخية نفسها تقريبًا[٢]، يقدِّمان الشيطان إلى أهل التوحيد: الإصحاح الثالث من سفر زكريا، والإصحاحان الأول والثاني من سفر أيوب؛ أمّا التوصيف المقتضب للشيطان في سفر زكريا، المستشهد به أعلاه [«وأراني الكاهن الأعلى يوشع، واقفًا بين يدي ملاك الرب، والشيطان واقف عن يمينه ليتّهمه، فقال الرب للشيطان: الربّ يزجُرُك يا شيطان، حقًّا الربّ الذي اصطفى أورشليم يزجرُك ويردّ كيدك في نَحْرِك؛ أليس هذا الرجل قبسًا من نار؟»] ، فقد أُثري بقدْر معتبر من التفصيل في سفر أيوب، الذي يقول بأنّ أيوب قد كان «عبدًا مخلصًا ومستقيمًا، يخشى الرَّبَّ، ويجتنب

---

(١) السجال قائم منذ قرون -ولا يزال- حول أصول الشيطان الكتابي. ولسياقه في الشرق الأدنى القديم، انظر:

N. Forsythe, *The Old Enemy: Satan and the Combat Myth* (Princeton, 1987)

ولسياقه اليهودي-المسيحي، انظر:

E. Pagels, *The Origin of Satan* (London, 1995).

ولنقاش حديث حول الموضوع، لكنه يركز -علاوة على ذلك- على شعيرة (رجم الشيطان) في مناسك الحج، انظر:

Silverstein, "Parallels between Some Jewish and Islamic Rituals."

(٢) في الفترة بين القرن السابع والقرن الرابع قبل الميلاد على التقريب. (المترجم).

الآثام» (أيوب ١: ١). واستقامة أيوب هذه، موصوفة بالتفصيل في مفتتح السفر (١: ٢-٥)، ويعقبها مباشرة دخول الشيطان إلى المشهد. وهاكم الآيات من ٦ إلى ١٢ من الإصحاح الأول:

وفي أحد الأيام، جاء أبناء الربّ *(beney ha-ʾelohim)* ليمثُلوا بين يديه[(١)]، وكان الشيطان معهم. فقال الرَّبُّ للشيطان: «من أين جئتَ؟» فأجاب: «من الغدوّ والرّوَاح في الأرض والطواف فيها»، فقال له الرّب: «ألم يسترع انتباهك عبدي أيوب، عبد لا مِثْل له على ظهر الأرض، مخلص ومستقيم، يخشى الرَّبَّ ويجتنب الآثام؟» فردّ الشيطان قائلًا: «وهل يخشاك أيوب دونما مقابل؟ ألم تحمه وتحيطه وبيته وجميع ما يملك بالسياج من كلّ جانب؟ لقد باركتَ عمل يديه وممتلكاته فنَمَت وكثرت في الأرض. لكن إذا مددتَ يدك

(١) ثمة نزاع شديد حول دلالة عبارة أبناء الله هذه، خاصة في الموضع الذي ذُكرت فيه لأول مرة في سفر التكوين (تكوين ٦: ١- ٤). لكنها تحيل هنا -وفي سياق سفر التكوين أيضًا، مع تعديل ما يلزم، على الأرجح- على الملائكة الموكّلين بمراقبة البشر وتسجيل أعمالهم ورفعها إلى الله. ومنهم من يعرفون في السياق الكتابي بـ(المراقبين السماويين). ونقرأ في القرآن: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٨٠]، ﴿هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩]. وفي الحديث: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكم مَلائِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وملائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيجْتَمِعُونَ في صَلاةِ الصُّبْحِ وصلاةِ العصْرِ، ثُمَّ يعْرُجُ الَّذِينَ باتُوا فِيكم، فيسْأَلُهُمُ اللهُ وهُو أَعْلمُ بِهِم: كَيفَ تَرَكتم عِبادِي؟ فَيقُولُونَ: تَركنَاهُم وهُم يُصَلُّونَ، وأَتيناهُم وهُم يُصلُّون». متفق عليه. (المترجم).

لتمسّ كلَّ ما يملك بالسوء، فسيجدف بك، يقينًا، وفي وجهك!» فقال له الرب: «فلتشهد! إني جاعل لك سلطانًا على جميع ما يملك [فلتسلبه إياها]، لكن لا تمسّه بسوء في صحّته». ثم غادر الشيطان.

عقب ذلك، نقرأ عن البلايا المتتالية التي أنزلها الشيطانُ بأيوب، بقصد إسقاطه في الزّلل، ودفعه إلى التجديف بالله، لكن على الرغم من شدّة هذه البلايا التي لم تنفكّ تتزايد، تجاوز أيوبُ الاختبارَ بنجاح.

نخرج من هذا التوصيف للشيطان في سفر أيوب (وسفر زكريا) ببعض التفاصيل المهمّة؛ أولًا: الشيطان هو مَنْ يوجّه التُّهم إلى الإنسان، حتى يُثْبِتَ للربّ أنّ أشدّ البشر ورعًا وتقًى -ناهيك عمّن دونه- أناني في الأساس، وغير جدير بثناء الربّ عليه. وثانيًا: الشيطان عضو في الملأ (المجلس) السماوي -أحد «أبناء الرب»- يقف على يمين المُدّعَى عليه (المتهَم) في محكمة الربّ[1]. وثالثًا: سلطان الشيطان مستمَد من الربِّ نفسه، فهو الذي أَذِنَ له بأن يختبر (يفتن) البشر، وبأن يضع بنفسه قواعد الاشتباك معهم. وأخيرًا، على خلاف أهريمان الزرادشتي [روح الشّر، إله الظُّلمة والخواء، في الديانة الزرادشتية]، الشيطان ليس شريرًا أصالة. إنه موظف قضائي لدى الربّ، مُدَّعٍ

(١) في المحاكم الحديثة الادّعاء يكون على يمين المتهَم ودفاعه، كما يمكن أن نلاحظ بسهولة في أيّ فيلم دراما تدور أحداثه في قاعة المحكمة. (المترجم).

عامٌّ سماويّ، لو جاز التعبير. لقد «سقط» الشيطان، بالطبع، في نهاية المطاف، لكن هذا السقوط يعني ضمنًا أنه كان في مقامٍ عالٍ في أوّل الأمر. وعلاوة على ذلك، يشير سياق سفر أيوب إلى الآتي: على الرغم من أنّ وظيفة الشيطان كمدّعٍ تقتضي منه أن يتصرّف مع الإنسان على نحوٍ قاسٍ ومضادٍّ لمصلحته، إلّا أنه قد تولّى هذه القضية بتحفيز من الرَّبِّ («ألم يسترع انتباهك عبدي أيوب الذي لا مثيل له...؟»). أجل، لقد سقط الشيطان، لكن يمكنه بلا ريب أن يؤكّد على أنّ الربّ هو مَنْ دَفَعَهُ.

في القرون التي تلت كتابة سفري أيوب وزكريا[1]، نحتت التطوّراتُ التاريخية الشيطان في صورة مُجسّد الشّر المألوفة لنا. ويُقال إن السبي البابلي قد لعب دورًا مركزيًّا في هذا التحوُّل، وذلك بطريقتين؛ أولًا: أيقظ تخريبُ الهيكل وتشتيتُ اليهود مسألةَ الثيوديسا [تبرير وجود الشَّرِّ في العالم بالرغم من قدرة الله ورحمته] في عقول الأمة اليهودية؛ فالمآسي تنزل بالأمّة طول الوقت لأنها تُذنب طول الوقت. لكن عندما تنزل المآسي بالأمة برمّتها، وعندما يُخرَب بيت الربّ، ينبغي البحث عن حلول لهذا الوضع في مكان آخر، وهو ما يأخذنا إلى الدور المركزي الثاني الذي لعبه السبي البابلي. فبعيشهم في العراق-إيران، تعرّض

(١) انظر أيضًا المزمور رقم ١٠٩، من سفر المزامير، الذي يصف دور الشيطان كمُدّعٍ [مزامير ١٠٩: ٦ «ولِتعينَ رجلًا شريرًا ضدّه؛ ولتجعلَ شيطانًا يقف عن يمينه ليتهمه»].

اليهود أثناء هذه الحقبة للأفكار الثنائية (dualistic) التي تحتل موضع القلب من الأديان الإيرانية. فثمة قوى للخير وقوى للشّر، وهما عالقتان في صراع متواصل إلى الأبد. وفي هذا السياق، أضحى الشيطان ممثِّلَ قوى الشّر، وكلّ ما هو شَرّ في هذا العالم ينبغي عزوه إليه. ففي سفر صموئيل الثاني [المكتوب قبل السبي]، الإصحاح ٢٤، الآية الأولى، نقرأ: «وحمى غضب الربّ على بني إسرائيل كرّة أخرى، فحرّض عليهم داود قائلًا له: فلتُحْصِ بني إسرائيل ويهوذا». لكنّنا نقرأ في سفر أخبار الأيام الأول، المكتوب بعد السبي، الإصحاح ٢١، الآية الأولى: «وجابَه الشيطان بني إسرائيل وحرّض داود على إحصاء الشعب»[(١)]. وهكذا نجد أنّ الأفعال الشريرة التي كانت تُعْزَى إلى الربّ سابقًا [إحصاء السكان في هذه الحالة]، أضحتْ تُعْزَى إلى الشيطان. وبالمثل، في سفر التكوين (٢٢: ١)، الربّ هو من يفتن إبراهيم ويطلب منه ذبح ابنه إسحاق،

(١) لقد كان إحصاء السكان محرّمًا على نحو صريح، والقيام به وقوع في الإثم، [وسبب ذلك غير واضح، لكن توجد بعض التأويلات: ١- أنه كان علامة على تباهي داود وزهوه المفرط. ٢- أن الهدف منه كان إحداث تغيرات غير مشروعة في المجتمع الإسرائيلي؛ كفرض الضرائب أو التجنيد الإلزامي. ٣- أنه كان يوجب التطهر طقسيًّا (الاغتسال؟) على الرجال، كما لو كانوا ذاهبين إلى معركة، هو الواجب الذي كان من اليسير خرقه، انظر:

Michael D. Coogan, Editor, *the new oxford annotated bible new revised Standard Version With The Apocrypha*, (Oxford: Oxford university press, 2010), p 482.]

بينما في سفر اليوبيل (١٧: ١٥ – ١٨)، الشيطان (ماستيما) هو من يفعل ذلك[١].

وبحلول الزّمن الذي كُتب فيه العهد الجديد، كان الشيطان هو مُجسِّد الشّر، ووحش الخواء (chaos)، وحيّة جنة عدن، والعدو الأساسي للمسيح[٢].

ويقينًا، بحلول الوقت الذي كُتِبَ فيه القرآن، كانت المطابقة بين الشيطان والشَّرِّ قد ترسّخت تمامًا في عقول قاطني الشرق الأدنى. وبالتالي، بينما يلوم أيوبُ الربَّ نفسه على بلاياه في سفر أيوب (أيوب: ١٩)، نجده يلوم الشيطان عليها في رواية القرآن للقصة (ص٤١ – ٤٤)[٣].

لكن على الرغم من ذلك، حُفِظَت وظيفة الشيطان الأصلية كمُتّهِم في المحكمة السماوية بثلاثة طرق. أوّلًا: كانت المصطلحات المستخدمة لوصفه في العصور القديمة المتأخّرة ذات صلة، عادة، بمؤهّلاته شبه القانونية، مؤهّلاته

(١) وإن كان من غير الواضح لماذا اعتُبِر اختبار إبراهيم على هذا النحو فعلًا مفرطَ الشّرِّ بحيث لا يسوغ نسبته إلى الربّ، خاصّة إذا ما أخذنا في اعتبارنا أنه بحلول زمن كتابة سفر اليوبيل كانت الخاتمة (السعيدة) لهذه الواقعة معروفة للجميع.

(٢) قارن على سبيل المثال بسفر الرؤيا ١٢: ٩، ٢٠: ٢ [«وهكذا رُمي التنّين العظيم –الحية القديمة، التي تُدعى إبليس والشيطان، التي تضلّل العالم بأكمله– إلى الأرض ومعه ملائكته». «وأمسك بالتنين – الحية القديمة، إبليس والشيطان– وقيّده لمدّة ألف عام»].

(٣) سفر أيوب ١٩: ٢: «إلى متى ستعذبني [يا ربي] وتسحقني بكلماتك»/ =سورة ص: ٤١: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ﴾. (المترجم).

الشبيهة بمؤهّلات محامٍ؛ فالترجمة اليونانية للفْظِ الشيطان، ديابولوس (diabolos)، تعني: المُتَّهِم والمُدَّعِي[١]، وأحد الألفاظ المستخدَمة للإشارة إلى الشيطان في العهد الجديد هو بعل زبوب (Beelzebub)، وهو لفظ مشتقّ من الكلمة الأكدية bēl dabābi، والتي تَعْنِي (المُدّعِي)[٢]، وأحد ألقاب الشيطان الحبرية (الحاخاميّة) هو كاتيجور (qategor) أو ميكاتريج (meqatreg)، وهو لفظ مشتق من اليونانية ويعني (المُتهِم)[٣]، وعبارة: satan meqatreg «شيطان

(١) وديابولوس مشتقة من الكلمة اليونانية diaballein والتي تعني: «الطعن والتجريح والقدح والاتهام». انظر دراسة جبريل سعيد رينولدز "Two Qurʾānic Words,"، ص٦٨٠- ٦٨٢. ولنلاحظ أن هامان موسوم بديابولوس في النسخة اليونانية من سفر إستير، وذلك بسبب دوره كمتهم (أرضي) للأمة اليهودية (حيث حاجج أمام ملك الفرس أحشيروش/ خشاياراشا/ Xerxes الأول، عن أنه ينبغي معاقبة اليهود لكونهم مختلفين).

(٢) S. Kaufmann, *The Akkadian Influences on Aramaic* (Chicago, 1975), 42–43.

شخصية bēl dabābi التي تظهر في النصوص القانونية البابلية، كمتّهِم/ مُدّعٍ أرضي وسماوي لها بعض الأهمية هنا، خاصّة بما أنّ الباحثين منذ القرن التاسع عشر فصاعدًا اعتبروا -في بعض الأحيان- أن هذه الشخصية هي سلف شخصية الشيطان الكتابية. وعن ذلك، انظر:

E. Schrader, *Die Keilinschriften und das Alte Testament*, ed. H. Zimmern and H. Winckler (3rd ed., Berlin, 1902–1903), 461ff.

(٣) Jerusalem Talmud, Berachot 1:1, and Shabbat 2:6; and Genesis Rabba, 38:7.

ولفظ كاتيجور مستخدَم في العهد الجديد للإشارة إلى الشيطان في سفر الرؤيا ١٢: ١٠: «وسمعتُ صوتًا جهورًا ينادي في السماء قائلًا: لقد أتى الخَلاص، لقد أتت القوّة ومملكة ربّنا وسلطان مَسِيحه، فها هو مُتّهِم الإخوة والأخوات من المؤمنين، ذاك الذي يتهمهم بين يدي الربّ ليل نهار، قد أُسقِط وطُرِح أرضًا».

مُتّهِم»، تتكرّر باستمرار في المصادر الحبرية[١]؛ وأخيرًا، في البيشيطا peshitta [الكتاب المقدّس باللغة السريانية، والكلمة تعني حرفيًّا البسيطة والواضحة]،كلمة ديابولوس اليونانية مترجمة إلى ākelqārṣē[٢]، وهي مشتقّة من كلمة أكدية تعني (المتهِم). وبما أن بحثي منصبّ في الأساس على أصول تسمية الشيطان في القرآن، يغدو من المهم للغاية أن نعرف أن الشيطان كان يلقَّب -عادة- بـ(المُتهِم) في الدوائر التوحيدية في العصور القديمة المتأخرة [التي ينتمي إليها القرآن].

وثانيًا: نجد في كتابات العصور القديمة المتأخّرة إحالات غير مباشرة متفرّقة إلى كون الشيطان خصيمًا للإنسان. ففي كتاب: **تفسير سفر التكوين العظيم** *Genesis Rabba* (القسم رقم ٢٠)، منصوص على أن حيّة جَنّة عدن «جاهزة بالردود»، وهو ما يوضح أنّ الشيطان كان يُصوّر، في ذلك الحين، كشخصية شبيهة بمحامٍ [ادّعاء] لاذع اللسان مُسَلَّح بالحُجَج. وبالمثل، كلّ روايات سقوط الشيطان -المكتوبة باليونانية واللاتينية والأرمينية والجورجية والسلافية والعبرية والعربية- لا تصوّر الشيطان كمتمرّد عَنِيد على الربّ بقدر ما

(١) A. Kohut, *Aruch Completum (*Vienna, 1878–1892), s.v. *qetīgōr*.

(٢) Kaufmann, *Akkadian Influences*, s.v. *ākelqārs ē*.

تصوّره كمحامٍ ضالّ[١]. فعندما أمَر الربُّ (أو ميكائيل في بعض الروايات) الشيطانَ بالسجود لآدم، لم يعترض الشيطان على الأمر لأنه يكره الربّ أو لا يبالي به، وإنما لأنه يظنّ أن قواعد الأسبقية أو الأفضلية غير مطبّقة على نحو صحيح. ففي بعض المرويات، يبرّر اعتراضه بكونه مخلوقًا من نار، والنار أفضل من الصلصال أو الطين الذي خُلِق منه آدم؛ وفي بعضها الآخر، يبرّر اعتراضه بكونه مخلوقًا قَبْل آدم، أيْ أكبر منه، وبالتالي يتساءل: لماذا ينبغي على الكبير أن يُظْهِر احترامًا للصغير؟ وهذا سؤال مقبول للغاية في السياق القانوني للشّرق الأدنى، حيث نجد أنّ للابن البِكْر حقوقًا في الميراث أكبر مما لإخوته الأصغر[٢]. وفي العديد من قصص التوراة[٣]، نجد الربّ يضرب بقوانين الإرث

(١) لمرويات سقوط الشيطان، انظر:

G. Anderson and M. Stone, eds., *A Synopsis of the Books of Adam and Eve* (2nd ed., Atlanta, 1999).

وإلى هذه المرويات يمكن إضافة النصّ القبطي الموسوم بـ "Encomium of Theodosius" (مدائح ثيودوسيوس) والمكتوب في القرن السادس، والمنشور في:

E. A. Wallis Budge, *Miscellaneous Coptic Texts in the Dialect of Upper Egypt* (London, 1915), 904–6.

وفيه، نجد أن الشيطان يتوسّل بحُجج عديدة (معقولة في أغلبها) لدعم موقفه الرافض للسجود لآدم.

(٢) R. Westbrook, ed., *A History of Near Eastern Law* (Leiden, 2003). في صفحات متفرّقة.

فتقريبًا، كلّ أنظمة الشرق الأدنى القانونية المعروضة في هذا الكتاب، تخوّل للابن البِكْر نصيبًا من الميراث أكبر من نصيب إخوته.

(٣) المقصود بالتوراة أسفار موسى الخمسة: (التكوين، والخروج، واللاويين، والعدد، والتثنية) فقط، وليس الكتاب المقدّس العبراني بأكمله. (المترجم).

هذه عرض الحائط، بتفضيل الابن الأصغر على الابن البِكْر: سام بن نوح على إخوته؛ إسحاق على إسماعيل؛ يعقوب على عيسو؛ يوسف على إخوته، وهلمّ جرًّا. وبعبارة أخرى، الحجج التي يسوقها الشيطان للدفاع عن رفضه السجود لآدم، وعلى الرغم من كراهيتنا للإقرار بذلك، قويّة جدًّا[(١)].

وبوسعنا تبيّن الطبيعة الاتهامية للشيطان في كلّ الإحالات على أفعاله المؤذية، حتى في الروايات القرآنية عن سقوطه. ويتمتّع سياق سفر أيوب بأهمية خاصّة هنا؛ لأنه أساس كلّ روايات سقوط الشيطان اللاحقة، وتوصيفاته اللاحقة بأنه: (مضلِّل) و(مُهلِك) و(مُغْوٍ). ففيه -وكما ذكرنا- يتباهي الربُّ بعبده أيوب أمام الشيطان، مغريًا له حتى يجد عيبًا في هذا العبد شديد التقوى، بما أنه يؤدّي دور المُدّعِي. ولكي يُثبت أنّ الإنسان ليس زكيًّا بلا خطيئة كما يرى الربُّ أيوبَ، يُنزل الشيطانُ البلايا على أيوب؛ ابتغاء تضليله. لكن يصمد أيوب، ويخسر الشيطان القضية. لكنه واصل تأدية دوره كمتّهِم على مدار التاريخ: ففي

(١) وبشيء من المغالاة، خلصتْ بعض الدوائر الصوفية إلى أن الشيطان قد رفض السجود لآدم بسبب صرامة توحيده (قارن مع: Awn, *Satan's Tragedy and Redemption*). ويتردّد صدى منطق الشيطان هذا في العهد الجديد، ففي متّى (٤: ١٠) يطلب الشيطان من المسيح أن يسجد له [بعدما عمّده يوحنا، وصام أربعين يومًا في الصحراء، وأراد الشيطان أن يفتنه]، فيردّ المسيح عليه قائلًا: «اغْرُب عن وجهي يا شيطان! فمكتوب [في التوراة]: اعبد الربّ إلهك ولا تشركْ في عبادته أحدًا» [المسيح يقتبس هنا الآية ١٣ من الإصحاح ٦ من سفر التثنية].

التلمود البابلي وحده، نسمع عن أن الشيطان يعترض على إنزال التوراة على موسى بحُجّة أنّ البشر تملؤهم النقائص والمعايب[١]، وعن أنّ الشيطان يتجادل مع الربّ ضد إبراهيم؛ لأن الأخير لم يقدِّم أضحية قربانًا للربّ عندما رزقه بابنٍ بعدما بلغ من الكبر عتيًّا[٢]، وعن غيرها من الأمثلة[٣]. لقد كان أحبار التلمود على دراية بالعلاقة القائمة بين وظيفة الشيطان الأساسية وهي اتهام الإنسان في المحكمة السماوية، ووظيفته الثانوية وهي غواية الإنسان وتضليله بغرض إسقاطه في الزّلل، ومن ثمّ حشد الأدلة ضدّه أمام الرب. وبكلمات الأحبار: «الشيطان يغوينا في الحياة الدنيا لكي يتّهمنا في الحياة الآخرة»[٤].

هذا القول بأن دور الشيطان هو غواية البشر بغرض حَشْد الأدلة ضدّهم مدعوم فعلًا بروايات القرآن حول سقوط الشيطان[٥]. فبعدما طرد اللهُ الشيطانَ

---

(١) BT Shabbat 88b–89a; and Sanhedrin 26b.

(٢) BT Sanhedrin 89b.

(٣) في التلمود البابلي (Sanhedrin 38a–b)، تعترض (الملائكة) على خلق الإنسان بحُجّة آثامه المستقبلية (كبناء برج بابل على سبيل المثال ضمن آثامٍ أخرى).

(٤) BT Sukka 52b.

وإن كانت هذه العبارة قد أخطأت مرماها قليلًا؛ فعوضًا عن القول بأن الغواية وظيفة الشيطان في الدنيا، والاتهام وظيفته في الآخرة، كان ينبغي القول بأن الغواية وظيفته في الأرض بينما الاتهام وظيفته في السماء.

(٥) سورة الأعراف: ١٠– ١٨؛ سورة الحجر: ٢٦– ٤٣؛ سورة الإسراء: ٦١– ٦٥؛ سورة الكهف: ٥٠؛ سورة ص: ٧١– ٨٣.

من السماء وصرّح بأنه رجيم، طلب الشيطانُ من الله أن يؤخّر عقابه، حتى يتسنى له أن يُثبت صحّة دعواه، عن طريق إغواء البشر وتزيين المعاصي لهم. وأكّد الشيطان على أنه سينجح في غواية جميع البشر إلّا عباد الله الأشدّ إخلاصًا له: [﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ ص: ٨٢، ٨٣]، بينما أكّد الله على أن الشيطان لن ينجح إلّا في غواية قلّة منهم: [﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ الحجر: ٤٢]. هنا، وكما هو الحال في سفر أيوب، يضع كلٌّ من الله والشيطان رهانه. وبقية التاريخ، الحياة بتقلباتها، ليست سوى تجليات هذا الرهان السماوي؛ فالشيطان يسعى إلى كسب الرهان عن طريق إضْلال البَشر، الذين على دراية بمكائد الشيطان الشريرة، لكن ليس لديهم أيّ دراية بهذا الرّهان. ففقط من خلال الكتب المقدّسة وغيرها من الكتابات الدينية، اطّلع عامة الناس على الصورة الكاملة، وعرفوا أنّ وظيفة الشيطان الأساسية هي أنه مُدّعٍ في محكمة الربّ.

وأحد هذه الكتب هو سفر أخنوخ الثالث (Enoch 3)، المعروف أيضًا بسفر القصور السماوية (*Sefer Hekhalot*)[١]، الذي يعود إلى حوالي القرن

(١) للنصّ العبري، انظر:

H. Odenberg, ed., *3 Enoch or The Hebrew Book of Enoch* (New York, 1973; orig. ed. Cambridge, 1928)

ولترجمة إنجليزية له، انظر:

=

السادس قبل الميلاد، ومعه نَصِل إلى الطريقة الثالثة التي حُفِظَت بها وظيفة الشيطان الأساسية كمُدّعٍ سماويّ حتى عشيّة ظهور الإسلام(١). وموضوع هذا السفر هو وصف رحلة أخنوخ إلى السماء(٢). فعندما رفع الربُّ أخنوخ إلى السماء، اعترض ثلاثة من الملائكة الشانئين على رفعه؛ يقول أخنوخ:

ثم أتى ثلاثةٌ من الملائكة التنفيذيّين(٣)، وهم: عُزى وعَزى وعزازيل(٤)، ووجَّهوا التُّهَم ضدّي في السماوات العُلى، فقالوا بين يدي الرب، تبارك وتعالي:

=

"(Hebrew Apocalypse of) Enoch: A New Translation and Introduction by P. Alexander," in *The Old Testament Pseudepigrapha, vol. 1: Apocalyptic Literature and Testaments*, ed. J. H. Charlesworth (New York, 1983), 223–315.

[وهو أحد الأسفار غير المعتمدة. وأخنوخ أو حنوك (Enoch)، هو نبي الله إدريس كما يرجّح أغلب المتخصّصين. (المترجِم)].

(١) P. S. Alexander, "The Historical Setting of the Hebrew Book of Enoch," *Journal of Jewish Studies* 28 (1977): 156–80.

(٢) قارن مع مريم: ٥٦، ٥٧: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ٥٦ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيّٗا﴾. (المترجم).

(٣) تنفيذيون (ministering)، أي: من الملائكة الموكلة بتنفيذ مهامٍّ إلهية متعلّقة بتدبير شؤون الكون ورعايته، في مقابل الملائكة التي تقتصر مهمتها على تسبيح الربّ وتمجيده. كما تقسم الملائكة عامة في الملائكولوجي (angelology) الكتابي. (المترجم).

(٤) ʿUzza, ʿAzza, and ʿAzaʾel

تخبرنا المصادر الأخرى أن هؤلاء الثلاثة من الملائكة الساقطة على شاكلة الشيطان [كهاروت وماروت]. وعن هويتهم وصِلتهم بالشيطان، انظر:

Y. Reed, "From Asael and Šemiḥazah to Uzzah, Azzah, and Azael: 3 Enoch 5 (§§7–8) and Jewish Reception-History of 1 Enoch," *Jewish Studies Quarterly* 8 (2001).

=

«يا رب العالمين، ألم يخلص لك الملائكة الأوّلون النصيحة عندما قالوا لك: لا تخلق الإنسان؟!» فردّ عليهم الربّ تبارك وتعالى قائلًا: «لقد خلقتُه وسألطف به» ...[فاعترضوا قائلين]: «بأيّ حقّ يُرفع إلى السماء؟» فردّ عليهم الربّ تبارك وتعالى مرة أخرى قائلًا: «إني اصطفيته وفضّلته عليكم جميعًا، وجاعِلُه إمامًا وحاكمًا عليكم في السماوات العُلى» (سفر أخنوخ الثالث ٤: ٦).

وبعد ذلك بقليل نقرأ:

ولاحقًا تآمروا لكي يرفعوا شكوى بين يدي الربّ تبارك وتعالى. فقالوا في حضرته: «يا ربّ العالمين، ما الذي بينك وبين البشر؟» (سفر أخنوخ الثالث ٥: ١٠).

وهكذا، ينضم أخنوخ إلى قائمة مرموقة من البشر المتّقين –قائمة تضمّ آدم وإبراهيم وموسى وأيوب– الذين تُوَجَّهُ إليهم الاعتراضات والتُّهَم من طرف الملائكة الساقطين في المحكمة السماوية[(١)]. والفكرة هنا هي أنّ هذا الاعتراض

=

وعن الملائكة الساقطة في القرآن، انظر:

P. Crone, "The Book of Watchers in the Qurʾān," in *Exchange and Transmission across Cultural Boundaries: Philosophy, Mysticism and Science in the Mediterranean*, ed. H. Ben-Shammai, Sh. Shaked, and S. Stroumsa (Jerusalem, 2013).

(١) حتى التُّهَم التي يوجّهها الملائكة ضدهم واحدة: ففي سفر أخنوخ الثالث ٦: ٢ وما يليها، يُسمع قولهم: «أية رائحة لذلك الذي يولد من [فرج] امرأة؟ كيف يتأتّى لمن خُلِق من نطفة بيضاء أن يُرفع إلى

=

على البشر عامة؛ فإذا كانت أفضل عيّنةٍ من البشر لا تستحق الثناء (أيوب) ولا التوراة (موسى) ولا الرفع (أخنوخ)، فلا يوجد إنسان يستحقّ ذلك.

هذا، ويظهر الشيطان بنفسه في سفر أخنوخ الثالث، في سياق يؤكّد على هويته كمتّهِم للإنسان في المحكمة السماوية؛ ففي فقرة تشرح اسم سيرافيم (seraphim)[(١)]، نقرأ الآتي:

لماذا يُسمّون بسيرافيم؟ لأنهم يحرقون ألواح الشيطان؛ ففي كلّ يوم يجلس الشيطان مع سماعيل (Samma'el)[(٢)]، أمير الروم، ودوبعيل (Dubbi'el) أمير الفُرس[(٣)]، ويكتبون خطايا بني إسرائيل في ألواح، ثم

=

السماء ليتعبد مع من خُلقوا من نار؟» ويكرّر ردّ الربّ على قولهم هذا صدى وصفه لأيوب: «هذا الذي اصطفيته من بين البشر ورفعته مكانًا عليًّا هو أفضلهم، إنه يعدلهم جميعًا في الإيمان والصلاح والتُّقى».

(١) جمع ساراف، صنف عالي الرتبة من الملائكة، مذكور لأول مرة في سفر أشعياء ٦: ٢- ٦، حيث يوصفون بأنهم ملائكة أُولي أجنحة (ستة بالتحديد)، يطوفون حول العرش، ويسبِّحون اللهَ مردّدين: قدُّوس قدُّوس قدُّوس. وكلمة ساراف العبرية تعني في الأصل مشتعل أو متّقد بالنار. (المترجم).

(٢) في موضع آخر من هذا السفر (١٤: ٢) سماعيل موصوف بأنه: «أمير المتّهِمين الأعظم بين جميع أمراء الممالك في السماوات العُلى».

(٣) وفقًا لهذا المنظور، يوجد مَلَك موكل بتدبير أمر كلّ أمة من الأمم (فبالإضافة للملكَيْن المذكورَيْن، ميكائيل هو أمير بني إسرائيل). وما يحدث بين الأمم في الأرض يعكس ما يحدث بين الملائكة الموكلة بها في السماء، والعكس. وربما هذا هو أصل فكرة القدّيس الشفيع الحامي لبلدٍ ما أو لصنفٍ ما من البشر. وللفرس والروم والصراع بينهما في النصوص الكتابية شأن أبوكاليبسي (قيامي) كبير، كما يتجلّى

=

يسلمونها إلى السيرافيم كي يرفعوها إلى الربّ تبارك وتعالى، عسى أن يأخذ بني إسرائيل بذنوبهم ويدمرهم تدميرًا. لكن السيرافيم يعلمون أن الربّ تبارك وتعالى لا يريد لهذه الأمة أن تسقط. فماذا يفعلون إذن؟ يأخذون الألواح كلّ يوم من بين يدي الشيطان ويحرقونها في النار المستعرة المواجهة للعرش المجيد، حتى لا تُعْرَض على الربّ تبارك وتعالى، حين يستوي على عرش الحساب ليحاسب جميع الخلق بعدله. (سفر أخنوخ الثالث ٢٦: ١٢).

وعلى الرغم من أنه يوجد قَدْر من الخلط هنا بين الملائكة الشانئين الذين يرفعون التّهَم ضدّ أخنوخ وبين الشيطان نفسه، إلا أنه من الواضح أنّ الشيطان هو المتّهِم الرئيس للإنسان، وتحت إِمْرَته يعمل عددٌ من المتّهِمين التابعين له في الملأ السماوي [كرئيس النيابة ومجموعة المحامين العاملين في مكتبِه].

وبعبارة أخرى، لقد بدأ الشيطان مسيرته المهنيّة، في المصادر الكتابية التي تعود إلى القرن السادس قبل الميلاد، كمتّهِم للإنسان في المحكمة السماوية. وفي سبيل حشد الأدلّة الداعمة للتُّهَم التي يوجّهها إلى الإنسان، يقضي وجودَه الأرضي ساعيًا إلى إضلال البشر وغوايتهم حتى يسقطوا في الزّلل، ولهذا

=

ذلك بوضوح في سفر دانيال، وللمزيد عن ذلك انظر: آدم سلفرستاين، (آيات سورة الروم (٢- ٥) في سياق الشرق الأدنى)، ترجمة: مصطفى الفقي، مركز تفسير للدراسات القرآنية. (المترجم).

السبب أضحى مرتبطًا في العقل الجمعي بالغواية والإضلال. لكن طبيعته الجوهرية كمتّهِم ومدّعٍ لم تتغير على الرغم من ذلك، وهي الحقيقة المُعبّر عنها في العديد من أسمائه وألقابه، وفي العديد من التوصيفات المباشرة وغير المباشرة لدوره الاتهامي خلال العصور القديمة وما بعدها. وبالتالي، بناء على دور الشيطان خلال التاريخ، وبما يتماشى مع المصطلحات العديدة التي تعني (متّهِم) التي استُخْدِمت من طرف أهل التوحيد في العصور القديمة المتأخّرة لوصف الشيطان، من المقبول أنْ نفترض أنّ أسماء وألقاب الشيطان الأخرى التي استعملها أهلُ التوحيد في الشرق الأدنى عشيّة ظهور الإسلام تحيل -هي أيضًا- على دوره كمتّهِم للإنسان. وعليه يمكن لبحثي في المعنى الأصلي لعبارة «الشيطان الرَّجِيم» أن يصل إلى خلاصة مرضيّة إذا ما كان الجذر: ر-ج-م يعني (اتَّهَم) في واحدة من اللغات السامية، وهذا هو الحال بالفعل.

فطبقًا لمعجم شيكاغو للغة الأكدية (*Chicago Assyrian Dictionary*)، يوجد في الأكدية، ستة معانٍ للفعل ragāmu: ١- دعا، نادى. ٢- تنبأ. ٣- استدعى، استحضر. ٤- رفع دعوى، قاضَى، ادّعى، رفع شكوى قضائية. ٥- مقاضاة شخص لآخر. ٦- حضَّ شخصًا ما على رفع شكوى[١]. ومن

(١) The Chicago Assyrian Dictionary (Chicago, 1999), 14: 62–67, s.v. ragāmu.
=

المثير للانتباه، أن المعنى الأول مدعوم، في المعجم، بنصف عمود من الأمثلة؛ بينما يشغل الثاني فقرة واحدة؛ ويشغل الثالث ما يقرب من عمود؛ ويشغل الخامس سطرًا واحدًا؛ والسادس فقرة واحدة؛ أمّا المعنى الرابع -وهو الذي يعنينا هنا- فيشغل سبعة أعمدة. وهو ما يعني أنّ اللفظ يستخدم بهذا المعنى الرابع أكثر بكثير من المعاني الأخرى (وواضح أنّ المعنى الخامس والسادس مشتقان من المعنى الرابع). وعلى هذا الأساس، يسوغ لنا أن نقول: إن «الشيطان الرَّجِيم» كانت تعني في الأصل «الشيطان المُتَّهِم».

=

وكما لاحظنا أعلاه [في قسم أقوال أخرى]، أخذ فرانز روزنتال هذا الخيار الأكدي لأصل لفظ رجيم في اعتباره، ففي الفقرة الأخيرة من مقالته المذكورة يقول: «وقد تعني رجيم: مُدَّعٍ ومُتَّهِم=ديابولوس» (“Some Minor Problems,” 84). وبما أن روزينتال قد كتب هذه المقالة في خمسينيات القرن المنصرم، لم تُتَحْ له فرصة الاستفادة من التطوّرات اللاحقة في حقل الدراسات الآشورية، وبالتالي لم يدرس بأيّ قدر من التفصيل احتمالية أن لفظ رَجِيم كان يعني في الأصل «متّهِم».

خلاصات:

نخلص مما سبق إلى ثلاث أفكار أساسية؛ **أولًا**: عشيّة ظهور الإسلام (وربما قبل ذلك بكثير)، كان نعت الرَّجِيم يُطلق على الشيطان (كلقب) ثابت، من دون أن يحيل بشكلٍ مقصود على المعنى الأصلي لهذا اللفظ. **وثانيًا**: من المرجّح أن هذا المعنى الأصلي للفظ الرَّجِيم قد طواه النسيان، ثم خُلِعَتْ عليه معانٍ أخرى مختلفة من طرف شعوب مختلفة في الشرق الأدنى؛ ففهمت الجماعات المسيحية في جنوب الحجاز عبارة الشيطان الرَّجِيم بمعنى: «الشيطان الملعون»، بينما فهمها اليهود -الذين واصلوا درء الشيطان برميه بالأشياء- على الأرجح بمعنى: «الشيطان المَرْجُوم». ويبدو أن القرآن نفسه يتضمّن أكثر من تأويل للفظ الرَّجِيم كنعت للشيطان (أو الشياطين)؛ ففي موضع تعني «المرجوم»، وفي مواضع أخرى تعني «الصاغِر» أو «المنبوذ المطرود»[1]. **وثالثًا**: على الرغم من تطوّر الشيطان من مُدّعٍ سماويّ إلى مُجسِّد الشر، إلّا أن

(١) المواضع هي -وكما ذكر المؤلف فيما سبق-: الملك: ٥: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾؛ الأعراف: ١٢، ١٣: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾؛ الحجر: ٣٣-٣٥: ﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، على الترتيب. (المترجم).

صفاته الانتقادية لم تُنْسَ بالكلية أبدًا فيما بين موحدي الشرق الأدنى في العصور القديمة المتأخّرة وفي صدر الإسلام. وعلاوة على ذلك، وجود أصل أكدي للفظ رجيم متوافق مع دَور الشيطان كمتّهِم ومدّعٍ، يدعم إمكانية أن يكون هذا المعنى هو المعنى الأصلي لعبارة الشيطان الرجيم، الذي نُسِي فيما بعد، بينما كانت العبارة متداولة في الجزيرة العربية كلقب ثابت، دلالته قابلة لتأويلات مختلفة. بالطبع من غير الممكن تقصّي السُّبُل التي حفظت بها هذا الأصل الأكدي في الجزيرة العربية (بينما خرجت الأكدية من التداول في الأماكن الأخرى) بأيّ قدر من اليقين[١]، لكن بالرغم من ذلك علينا أن نعترف بأن عددًا كبيرًا من الكلمات الأكدية قد أسهم في فهمنا للعبارات القرآنية؛ فقد أحصى أرثر جفري في كتابه عن الألفاظ الأجنبية في القرآن ما يقرب من ستين كلمة[٢]. وما

(١) من الممكن، على سبيل المثال، أن يكون هذا اللفظ الأكدي فُهِم بادئ الأمر بمعنى (ملعون) فيما بين مسيحيي جنوب الجزيرة العربية، ثم وجد هذا الاستعمال سبيله إلى القرآن. ومن الممكن للمرء أيضًا أن يأخذ في اعتباره إمكانية وصول الكلمات الأكدية إلى الجزيرة العربية مع المِلك البابلي المتأخر نبونيد (Nabonidus)، الذي قضى في منتصف القرن السادس قبل الميلاد، فترة معتبرة من الزمن في تيماء، وهي واحة تقع على بعد ٤٠٠ كم شمال المدينة المنورة. ولدراسة حالة ظاهرة [الاستِهام، الاقتراع بالأسهم] من الشرق الأدنى القديم بقيت على قيد الحياة في الجزيرة العربية، حتى ظهور الإسلام، انظر:

P. Crone and A. Silverstein, "The Ancient Near East and Islam: The Case of Lot-Casting," *Journal of Semitic Studies 55* (2010): 423–50.

(٢) Jeffery, *Foreign Vocabulary*, 298.

أحاجج عنه في هذه المقالة هو أن كلمة ragāmu ينبغي أن تُضاف إلى قائمة جيفري هذه، ككلمة تسهم في فهمنا لعبارة قرآنية أخرى: «الشيطان الرَّجِيم».